

تفسير أبي السعود

غافر 4 6 ورجا بها لا إله إلا هو فيجب الاقبال الكلى على طاعته في أوامره ونواهيه إليه المصير فحسب لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيجزى كلا من المطيع والعاصى ما يجادل في آيات الله أي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق إلا الذين كفروا بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلاً عن الطعن فيها وأما الجدل فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الأفهام ومزالق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات ولذلك قال إن جدالاً في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغرك تغلبهم في البلاد لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شئ أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فإن من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فإنهم ماخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الأمم حسماً ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم أي الذين تحزبوا على الرسل وناصروهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم وهمت كل أمة من تلك الأمم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذه ليتكفروا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الأخذ بمعنى الأسر وجادلوا بالباطل الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلاً ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فأخذتهم بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك أي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضاً على الذين كفروا أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره فإن ذلك للشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التي من جملتها نصرته وتعذيب أعدائه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى انهم أصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل أي لانهم مستحقو اشد العقوبات وأقطعها التي هي عذاب النار وملازموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقاً واحق استجابة وقيل هو في محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك